Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منطق السيرة الذاتية

يتضح مما سبق أن السيرة الذاتية إذ تجعل من الماضي منطلقا لسرد الحكاية، فإنما يكون ذلك بغرض تحقيب التجربة الفردية وتوثيق تحولاتها العامة، صعودا في الزمن، على نحو خطي، إلى أن تبلغ درجة الكفاية في التعبير عن الاكتمال الذي يقترن غالبا بالفراغ من التأليف، أو باستنفاذ مبررات الحكي. ومن المفهوم هنا أن زمن كتابة السيرة الذاتية مفارق تمام المفارقة للزمن الذي تجري فيه الأحداث وترقى إليه التطورات، ولذلك نجده زمنا متحولا أيضا، أو لا يستقر في خطيته المتنامية إلا حين تلاشيه كزمن مروي.

ومن هنا يتضح لماذا يمسي الماضي في السيرة الذاتية زمنا نحويا وفيزيائيا على السواء، فهو يحيل على السيرورة المنقضية، وتجده يسردها بمنطق الفعل الناقص الدال على الزوال، ويؤرخ، في ذات الأن، لمراحل الحياة الفردية كما عيشت أو كما يُستعاد عيشها على أية حال.

أما الذات فنجدها عنصرا متفاعلا مع هذا الماضي لأنه مجالها البنائي. فهي تظهر في السيرة الذاتية كهوية «تامة» على مستوي الاستذكار، وناقصة على مستوى الحكي في آن، ولعلها في تحولاتها المروية تبدو في تغاير متنام. وعادة ما تحيل السيرة الذاتية على ذات الطفل (الذي هو شخصية الحكي المتلفظ)، ثم تلتفت إلى مستويات أخرى من التذويت ترتبط بسيرورة تطورها في الزمان والمكان. ويمكن النظر إلى الذات كموضوع للخطاب أيضا، لأن السرد يتشكل من خلال وظيفة الذات كمحكي داخل النص.

وإذا ما عدنا مجددا إلى (ثمرة أنسي...) وجدنا أن الماضي المستعاد قد تألف أمامنا من سرود تخص الطفولة كمرجع للسيرورة الذاتية وتشكل الأنا، والعلاقات كمحيط لتبلور هذا الأنا وظهور برنامجه واستراتيجيته، والعائلة كمجال للوظائف العاطفية والإنسانية، والدراسة كتجربة تعلم واستفادة. وهذا بالطبع هو مضمون الحكاية وتشكلاتها في هذه السيرة الذاتية.

أما الذات فمقولها هو النسب لأنها به تسمو في الرفعة، وتتحول إلى ذات تهجس بعناصرها الرمزية، بينما يمكن اعتبار الرتبة التي ترقى إليها، في إطار تجربة التعلم، عنصر فرادة، مما يضفي على الإسم العلم الذي هو جوهر تشكل الذات، كثيرا من الصفات الاستثنائية أوالمتميزة (الفقه، الشعر).

وعلى هذا فإن الماضي والذات عنصران تركيبيان في بناء السيرة الذاتية حكاية وخطابا. فكيف يتحقق ذلك؟